خواطر في النقد

مجلة « المغرب »

السنة الثالثة - عدد نونبر 1934 - شعبان 1353

صديقي ابن عباد[1]

أحسنت والله إذ عزمت أن تأخذ بيدك معول الهدم وتقصد هذه الصور البالية الجامدة من حياتنا التي توالى سباتها وهى تتزعم تفكيرنا وأدبنا، وتشاء أن تحصر الحياة الواسعة في دائرتها الضيقة والمتلاشية، فطريقة النقد التي أخذت اليوم بأسبابها وتفكر في الاتجاه إليها هى الوسيلة الوحيدة لكى نمهد للمستقبل نوعا من الإنتاج الصحيح، فيسري في عروق حياتنا الأدبية دبيب النشاط ودبيب الفتوة والتذوق للجمال في أعمق وأبسط صوره، فهؤلاء المنتجون يخيلون إلى كأنما هم جثث تتحرك وتسير وهى تغط في نومها لا تشعر بقيمة لوجودها ولا تسعى إلى غاية أسمى مما هى فيه.

ولا ريب أن عملك هذا يكون - وهو الأول من نوعه في حياتنا الفكرية - صدمة لكثير ممن يحرص أن يخفى نفسه بين طيات تلك الصورة البالية ويتجنب كل أسباب العنف والقوة التي تدعونا إليها الحياة إذا أردنا أن نكون معبرين عن تياراتها وتطوراتها، تلك التيارات والتطورات التي كانت ببلادنا إلى الأمس القريب واهنة متلاشية، أما اليوم فقد أصبحت هائجة صاخبة تعمل وراءها قوة شابة وروح فياضة بالإيمان والأمل، وتشاء أن

[1] هو الأديب محمد بن العباس القباج صاحب المقالتين اللتين تم نشرهما في الأعداد الأخيرة لمجلة « المغرب » تحت عنوان « لذعات بريئة » .

تكتسح كل مظهر من مظاهر الحياة لا يوافق العصر وما يضطرم به من قوة وانفعال؛ فأدباؤنا وقفوا بينما الحياة تقدمت خطوات، فاستحال وقوفهم إلى جمود بل إلى نوم وتلاش، وخير لهم أن يفسحوا المجال أمام عقولهم ويدركوا هذه الحياة التي نشاء اليوم أن نخترقها ونعبر عنها ونأمل في الحصول على غاية سامية منها كما أرجو أن يفهموا جيدا أننا في دعوتنا الأدبية لا نرغب في الجديد لأنه جديد ولا نزيف القديم لأنه قديم ، بل لا نستطلع ولا ننشد أن نمثل الحياة خير تمثيل في إنتاج أدباء المغرب، فلينشد الجميع هذه الأمنية وأنا الكفيل لك يا صديقي أنه لا يبقى هناك نزاع ولا خصام. على أنه من المفيد لحياتنا الأدبية ولنضوجها أن يطول هذا النزاع ويحمى وطيسه بين فريقين يختصمان أشد الخصام في حدود الدفاع عن المبدإ والفكرة الطليقة لا التعرض إلى الشخصيات، فإن ذلك مما يدعو كل فريق أن يطيل النزاع في مسائل لا تفيد حياتنا الأدبية بل تضرها حيث تعطي صورة عنها مشوهة لا تناسب جلال الأدب ولا قدسية الجمال.

وهنا أريد أن أسألك هل تحاول أن تنقد شاعرية الشاعر أم قصيدة من قصائده. فالذي يظهر لي بعد أن قرأت مقالتيك أنك تكتفي بقصيدة للشاعر فتستعرضها أمام القراء بما حوت من ابتذال ، وإذا بك في ختام النقد لا تطلب من ذلك الشاعر إلا أن يريحنا من منظوماته، وهذا ضرب من الإيجاز يخل بالمعنى التي تتضمنها كلمة النقد الواسعة إذ ليس من الضروري المحتم أن يجيد الشاعر في كل قصيدة يقولها؛ ولعلك إذا جلت بالشعر العربي من العصر الجاهلي إلى اليوم لم تجد هذا الشاعر الذي يجيد في كل بيت يقوله ويبلغ الذروة العليا في كل قصيدة من قصائده، فليست تلك الإجادة الشاملة بالعنصر اللازم لنبوغ الشاعر واعتراف الناقدين له بالشاعرية الفياضة. فلكى نحكم على الشاعر يجب أن نعتبر أن كل قصائده أمامنا، ونحن نود أن نكون عنها فكرة يأخذ الشاعر بها مستواه بين الأدباء؛ فمن مقاييس النقد التي كانت تعتبر صحيحة في الماضي أن هناك شعراء اعترفوا لهم بالشاعرية لقصيدة أو قصيدتين أجادوا فيها ولا زال اسمهم يردد بين

نبغاء الشعراء.

وإذا نحن طلبنا من الشاعر إجادة شاملة في كل ما يحاول أن يتلفظ به من الشعر فقد سعينا أن نصور أمامه الحياة بشكل يعطي ولا يأخذ، أى أن فيها دوام استفزاز العاطفة وإيقاظ الشاعرية لا تخمد ولا تقف أمام مدلهمات وخطوب الحياة واجمتين جامدتين، وليس ذلك بالممكن. ثم لو ضربنا صفحا عما تقدمه الحياة أمام الشاعر من ألوان وصور تارة تهيج وطورا تصطدم بالإحساس والمشاعر، لو ضربنا صفحا عن ذلك واتجهنا إلى تفهم هذا الوسط المغربي في العهد الأخير وكيف تقاس فيه الحياة وكيف تعتبر الأعمال الروحية لرأينا كل شيء يغاير الإحساس والشعور ويتناقض مع الوجدان والعاطفة السامية؛ فقد مرت على وسطنا هذه السنوات الأخيرة شبه نوبة رجعية لا يتقدم شيء خطوة إلا ليرجع عشرات من الخطوات، وكل مظاهر حياتنا يسير بصورة آلية لا أثر للروح في حركاتها ولا ينبعث تطورها وسيرها عن إحساس مطلقا، بل لقد رأينا فتورا في كل شيء وتهاونا من كل شخص كأنما الحياة أن تعيش لتحرك أسنانك ولسانك بطرف من الخبر، وكل شيء عدا هذا يخشى ويعد فضولا؛ فإذا ما فزع الشباب من هذا المظهر المخيف وأسرع إلى صفحات الماضي وتراث الأجداد يسائلها في دهشة ترى هل الحياة المغربية الماضية كانت صورة من هذه الحياة المرعبة التي يعيشها آباؤنا وهم بين موت الروح وحركة الجسم فلا ريب أنه سيجد في طيات الماضي ما لم يجده بين هذه الشخصيات المتداعية إلى الفناء والموت وبين هذه الصورة من الحياة الجامدة المكبوتة سيجد الشباب في ماضي وطنه حيوية في التفكير والإنتاج الأدبي أين هما من العصر الحاضر حيث كل شيء ذابل وكل يخيل إلينا يسير إلى الموت.

هكذا أتخيل عصرنا الحاضر لو أحببت أن أصوره تصويرا مجردا عن كل اعتبار؛ وعصر كهذا العصر لا ينبغ فيه الشاعر إلا نبوغ محاكاة، وتصفيف كلمات، وهذه نقطة يجب ألا نغفلها إذا أردنا أن ننقد شعراءنا ونحلل مميزات شاعريتهم إذ أن للربط تأثيره في الشاعر، فكما

أن العصر الذهبي يؤثر إيجابيا كذلك عصر الانحطاط - كعصرنا هذا - يؤثر سلبيا، فمن العسير وشعراؤنا يعيشون في هذا العصر أن تأخذ قصيدة من قصائدهم يعلم الله الدافع لهم على نظمها فتناقشهم فيها وتجادلهم ثم تختم حكمك الصارم، فالإنصاف بل النقد الصحيح يرغمنا أن نتابع الشاعر الذي فاضت به نفسه في ساعة اختلسها من الزمان اختلاسا، لهذا فأعتقد أنك تباعدت عن طريقة النقد المنتج وأنت تود أن تصور شاعرية الشاعر من قصيدة أو قصيدتين، فليس عصرنا بالعصر الذهبي الذي تتفق فيه المواهب وتفيض فيه الشاعرية إلى درجة أن قصيدة واحدة كفيلة بأن تقدم صورة واضحة جلية عن الشاعر ومقدار اتصال نفسه ومشاعره بما في الحياة من صور الجمال وألوان الانفعالات.

ثم إن كلمة النقد في معنى البحث الحديث والمدرسة الجديدة والأصل اللغوي ترمي إلى معنى خاص غير المعنى المتواتر في وسطنا وهو إظهار المساوئ أو ربما التحامل غير المناسب، بل معناه الأصلي والمعنى الذي يسود اليوم مدرسة النقاد الحديثين هى تلك المعنى التي تنزع بك أن تحلل الشاعر وتدرس آثاره وما يحوي من مزايا وابتذال وتعلل ذلك تعليلا يتصور منه المؤثرات التي ساعدت المنتج النابغة أو غير النابغة على أن يقدم لنا إنتاجه فنتفهم هذا الروح الذي ساد عصره وتمخضت عنه حوادث زمانه وانقلاباته.

هكذا أرى أن يقدم النقد الحديث لشيوخ الأدب الأجلة ببلادنا، ولهذه الفكرة ينبغي أن نسعى ونهد عروشا من المجد على أركان الوهم، وبنيت وستنتصر فكرتنا وتسود وسطنا في قليل من الزمان؛ ففي بلادنا ومجتمعنا استعداد لكل شيء من التجديد وخلع هذه الأثواب الثقيلة التي حملنا إياها على الانحطاط؛ فلتسر يا صديقي ابن عباد في طريقك المنتج تحياتنا الفكرية مهما تحملت اليوم من صدمات ومهما خيل لوسطنا الحاضر أنك قاس في لذعاتك البريئة العذبة. فلتسر دون أن تلتفت إلى الوراء، فالمستقبل لنا.

تعليق مجلة « المغرب »
على هامش مقال « خواطر في النقد »

نعرف صاحب المقال الأخ الكاتب النبيل من أشد الناس تقديرا وإجلالا للطائفة التي يشير إليها من الشعراء الموقرين الذين هم زينة البلاد علما وأدبا وحكمة، خلافا لما يتبادر إلى الذهن من بعض عبارات في مقاله مغتفرة في باب النقد؛ ونذكر أن ابن عباد لا يقصد جماعة دون أخرى، وسيتناول نقده الشيوخ والشبان والقديم والحديث وكتاب المغرب والجزائر وتونس ولكل مزايا ولكل فضل على اللغة والثقافة ولكل مواطن تحتاج إلى الإصلاح.

وبلغنا من مراكش - مؤخرا - رد على نقد مساعدنا ابن عباد بشأن الأخ الشاعر المطبوع وسننشره في العدد المقبل إن شاء الله.

هذا وقد رجى منا بعض الأصدقاء أن نلتزم الحياد بعدم التعليق على المقالات، ولا يمكن ذلك، أما أولا فإن لنا كسائر « القراء » الحق في إبداء فكرنا، وأما ثانيا فإن التعليق خير وسيلة لإعطاء الكتاب الحرية المطلقة في نشر ما يكتبون مع المحافظة على خطة الاعتدال التي هى خطة المجلة.

ولعل أحسن دليل على أننا غير مخطئين أن كثيرا من الجرائد في الخارج اقتدت بنا في ذلك.

انتهى تعليق المجلة

وفيما يلي، تعميما للفائدة، تقديم المجلة لرد مراسلها على لذعات ابن عباد، ونحيل القارئ الكريم على نص الرد المذكور في عدد 21 دجنبر 1934 لمجلة « المغرب » :

حول « لذعات بريئة ... »

مجلة « المغرب » 21 دجنبر 1934

توصلنا برد على لذعات ابن عباد للشاعر المبدع الأستاذ الشنجيطي الذي يعرف القراء تضلعه باللغة وثقافته العالية وعلمه الغزير؛ ومن جملة ما تناوله الأستاذ الشنجيطي في رده مسألة النسيب التي هى محل جدال بين دعاة التجديد والمحافظين سواء في هاته الديار أو في غيرها من البلاد العربية، ولعل للنسيب مغزى أعلى مما يتبادر إلى ذهن كثير من الأدباء؛ فإن الأوتبيين يبنون ما يكتبون من روايات وقصص دائما على المرأة والغرام؛ وفي القرون الوسطى كان فرسان أبطال يجوبون الوهاد والأنجاد لهماية المظلومين وإغاثة الضعفاء ويسعون في تلك العصور المظلمة بأوربا في إعلاء الحق على الباطل، وللكل عشيقة قد لا يكون لها وجود إلا في الخيال، وتسمى برفيقة الخاطر يستوحيها البطل ويخدمها له بأعماله ويقصد رضاها بمآثره، وقد ينسب غالب المؤرخين حركة الفروسة هاته بأوربا إلى تأثير العرب والحضارة الإسلامية التي أدخلت على أمم الغرب التي كانت إذ ذاك متوحشة الشعور بالجمال ورقة الغرام والشمم والنجدة وغير ذلك من شيم الرجولة الكاملة، وفي كتابنا « المرأة المسلمة » استندنا - من جملة أشياء - على « النسيب » في الشعر العربي ثم على إقرار النبى صلى الله عليه وسلم بعض الشعراء عليه للإشادة بمكانة النساء في المجتمع العربي، فإذا كان الشعراء يستعملون النسيب تقليدا فإن النسيب فيما يظهر أسبابا عميقة خارجة عن موضوع الجدل بين المجددين ومعارضيهم، وفي نظرنا القصير أنه لا ضرورة في أن يتركه شعراء العصر.